﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: 205]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين الدَّعوةِ للاستماعِ والإصغاءِ للقرآنِ، وبين كيفيّتِها وأدبها

لمّا تقدَّمَ الأمرُ بالذِّكر عند نزغِ الشَّيطانِ، ومرَّ إلى أنّ الأمْرَ بالاستماع لأعظم الذِّكرِ، وكان التّالي ربَّما بالغ في الجهرِ ليكثر سامعه، وربما أسرَّ لئلّا يوجبَ على غيرِهِ الإصغاءَ؛ علَّمَهم أدبَ القراءةِ[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَضَرُّعًا﴾: التَّضرُّعُ يَدُلُّ على لينٍ في الشَّيْءِ مِن ذلك ضَرَعَ الرَّجُلُ ضَراعَةً؛ إذا ذَلَّ، ورَجُلٌ ضَرَعٌ: ضَعيفٌ، "الضَّرْعُ للبهائِم: كالثَّدْي للمرأة. ويدورُ معنى التَّضرُّعِ حول رخاوةٍ أو رقَّةٍ، مع تَدلٍّ، أي: دُنوٍّ ومقاربة من الحصول في الحيِّز، ومن التَّدلّي والرخاوة المعنوية عُبِّر بالتَّركيب عن التَّذَلُّل[2]. فالتَّضرُّعُ يدورُ حولَ الطَّلبِ بذلٍّ وخضوعٍ واستكانة[3].

2) ﴿وَخِيفَةً﴾: يَدُلُّ على الذُّعْرِ والفَزَعِ، والخَيفُ: جِلدُ الضَّرْع حين يَخْلو من اللَّبَن يسترخي، والمعنى المحوريُّ: فراغٌ كبيرٌ في جَوف الشَّيءِ (لذَهابِ ما كان يشغله أو انتقاصِه)، كأنَّ الَّذي يخافُ منخوبُ الفؤادِ[4].

3) ﴿ٱلۡجَهۡرِ﴾: إعْلانُ الشَّيْءِ وكَشْفُهُ وعُلوُّهُ، يُقالُ: جَهَرْتُ بالكَلامِ، أعْلَنْتُ به، ورَجُلٌ جَهيرُ الصَّوْتِ، أيْ: عاليهِ[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 209/8.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، اللّسان، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ضرع).
(3) محمّد عويضة، فصل الخطاب في الزّهد والرّقائق والآداب: 328/7.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، اللّسان، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (خوف).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جهر).

4) ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾: أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على زَمانٍ، مِن ذلك الغُدوُّ، يُقالُ غَدا يَغْدو. والغُدْوَةُ والغَداةُ، وجَمْعُ الغُدْوَةِ غُدًى، وجَمْعُ الغَداةِ غَدَواتٌ، والغاديَةُ: سَحابَةٌ تَنْشَأُ صَباحًا، وأفْعَلُ ذلك غَدًا، والأصْلُ غَدْوًا، والغَداءُ: الطَّعامُ بعَيْنِه، سُمّيَ بذلك؛ لِأنَّهُ يُؤْكَلُ في ذلك الزَّمانِ[1].

5) ﴿وَٱلْآصَالِ﴾: جمع (أصيل)، من الجذر اللّغوي: (أصل)، والمعنى المحوريُّ: "امتدادٌ في العمقِ يقومُ عليه الشَّيءُ، ويمتدُّ منه إلى الأعلى، كقاعدتي الجبلِ والحائط لهما، وجذرِ الشَّجرة لها، وتلك الأصلةُ لها قائمةٌ تقوم عليها"[2]، والأصيل ما كانَ مِنَ النَّهارِ بَعْدَ العَشيِّ[3]، باعتبار أنه أوّل دخول زمن اللّيل.

6) ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: يَدُلُّ على تَرْكِ الشَّيْءِ سَهْوًا، ورُبَّما كانَ عَنْ عَمْدٍ، مِن ذلك: غَفَلْتُ عَنِ الشَّيْءِ غَفْلَةً وغُفولًا، وذلك إذا تركتُهُ ساهيًا، وأغْفَلْتُهُ، إذا تركتُهُ على ذِكْرٍ مِنكَ لَهُ، ويَقولونَ لِكُلِّ ما لا مَعْلَمَ لَهُ: غُفْلٌ، الخلو مما يَلفتُ وينبِّهُ أو يدلُّ: كالأرضِ السَّبْسبِ والموات والإبلِ والبلاد المذكورةِ، ومنه "غَفَل عن الشَّيء (قعد)، وأغفلَهُ: تركَهُ، وسها عنه"[4].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يَأْمُرُ اللّهُ تَعالَى عِبادَهُ بذِكْرِه كَثيرًا في أوَّلِ النَّهارِ وفي آخِرِه، كَما أمَرَ عِبادَه بعِبادَتِه في هَذينِ الوَقْتَينِ، وكانَ ذلك قَبْلَ أنْ تُفْرَضَ الصَّلَواتُ الخَمْسُ لَيْلَةَ الإسْراءِ، ويَأْمُرُ اللّهُ بأنْ يَكونَ الذِّكْرُ في النَّفْسِ رَغْبَةً ورَهْبَةً، وبالقَوْلِ خُفْيَةً وسِرًّا، لا جَهْرًا، ولِذلك يُسْتَحَبُّ أنْ يَكونَ

أمـرَ بـذكـرِ اللهِ في الأنفسِ بكرةً وعشيًّا، خشيةً وتضرُّعًا للهِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (غدو).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (أصل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أصل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، اللّسان، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (غفل).

الذِّكْرُ خَفيًّا لا نِداءً ولا جَهْرًا بَليغًا، وبأَلّا يَكونَ الإنْسانُ غافِلًا عَنْ ذِكْرِ اللّهِ، وأنْ يَسْتَشْعِرَ قَلْبُهُ الخُضوعَ لَهُ، والخَوْفَ مِن قُدْرَتِه[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### دلالةُ الواوِ وتوجيه الخطاب في قولِهِ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾:

الخطابُ للنَّبيِّ المرسلِ، ويجوزُ أن يكونَ لكلِّ مخاطبٍ بهذا القرآنِ

في قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾، الواو عاطفةٌ على ﴿قُلۡ﴾ في الآياتِ السّابقات، أو تجريدٌ للخطابِ إلى رسولِ اللّه ﷺ [2]، وفي الآية إقْبالٌ بالخِطابِ على النَّبيِّ ﷺ فيما يَخْتَصُّ به، بَعْدَ أنْ أُمِرَ بما أُمِرَ بتَبْليغِه مِنَ الآياتِ المُتَقدِّمَةِ، والمُناسَبَةُ في هذا الانْتِقالِ أنَّ أمْرَ النّاسِ باسْتِماعِ القرآنِ، يَسْتَلْزِمُ أمْرَ الرَّسولِ ﷺ بقِراءَةِ القرآنِ عليهم قِراءَةً جَهْريَّةً يَسْمَعونَها، فلَمّا فرَغَ الكَلامُ مِن حَظِّ النّاسِ نحو قِراءَةِ الرَّسولِ ﷺ أقْبَلَ على الكَلامِ في حَظِّ الرَّسولِ ﷺ مِنَ القرآنِ وغَيْرِه، وهو التَّذَكُّرُ الخاصُّ به، فأُمِرَ بأنْ يَذْكُرَ اللّه ما اسْتَطاعَ، وكَيْفَما تَسَنَّى لَهُ، وفي أوقاتِ النَّهارِ المُخْتَلِفَةِ، فجُمْلَةُ ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ مَعْطوفَةٌ على الجُمَلِ السّابِقَةِ مِن قَوْلِه: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 196] إلى هُنا[3].

### سرُّ الأمرِ بالذِّكرِ دونَ غيرِهِ:

الانتقالُ من الذِّكرِ السَّماعيِّ إلى الذِّكْرِ باللِّسانِ والجَنانِ والأركانِ

في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾، السِّرُّ في الأمرِ بالذِّكرِ دونَ غيرِه أنَّه انتقالٌ من ذكرِ الاستماعِ والإنصاتِ إلى أعظمِ الذِّكرِ وهو القرآنُ الكريمُ، إلى ذكرِ اللِّسانِ والجنانِ والأركانِ، وبهذا يحتمي الذّاكِرُ بالمذكورِ، فلا تعتريه الغفلةُ، ولا يقربهُ الشَّيطانُ.

### إيثارُ ذكرِ (الرَّبِّ)، والعدولِ عن اسمِ الجلالةِ:

في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ أوثِرَ ذكرِ (الرَّبِّ) تذكيرًا بعطاءِ الرُّبوبيَّةِ، وفيهِ بيانٌ لطريقِ الاتِّباعِ، ومعونةُ اللّه لعبدِهِ عند ما يسلك

(1) حومد، أيسر التّفاسير، ص: 1160.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 210/9.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 241/9.

سبيله؛ حيثُ أمرَهُ – قبل ذلك – أن يقول لهم: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾، ثمَّ بيَّن له طريقَ الثَّباتِ عليهِ، فقال: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾، وكُلُّ ذلك يَدُلُّ على نِهايَةِ الرَّحْمَةِ والتَّقْريبِ والفَضْلِ والإحْسانِ، والمَقْصودُ منه: أنْ يَصيرَ العَبْدُ فرحًا مبتهجًا عند سَماعِ هذا الاسْمِ؛ لِأنَّ لَفْظَ الرَّبِّ مُشْعِرٌ بالتَّرْبِيَةِ والفَضْلِ[1].

التَّذكيرُ بعطاءِ الرُّبوبيَّةِ، وفيه بيانٌ لطريقِ الاتِّباعِ المتوخَّى

**فائدةُ إضافةِ (ربّ) إلى ضميرِ المخاطبِ في قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾:**

في ذكرِ الربّ سبحانَه ملاطفةٌ بالمخاطَبِ، ويدخلُ فيهِ الرَّسولُ ﷺ دخولًا أوَّليًّا، كما أنَّ في الإضافة إعلامًا بأنَّ جودَ المذكورِ سابقٌ على سؤالِ الذّاكرِ، وربوبيَّةُ اللّه كرمٌ فيّاض، وإنعام سخيٌّ مفضالٌ، ولذلك جاءت إضافتُهُ بوصف الرُّبوبيَّةِ إلى ضمير الخطابِ لأجل ذلك.

اللهُ (ﷻ) أكرمُ، وجودُهُ أسبقُ، وعطاؤهُ أنعمُ

**علَّةُ اختيارِ (في) الظَّرفيَّة في قوله: ﴿فِي نَفۡسِكَ﴾:**

تفيدُ تمكُّن الذِّكر من نفس الذّاكرِ، فكأنَّ خَلْوَتَه الَّتي يَخْلو فيها مع اللّهِ، هو قلبُه، وكيف لا وهو محلُّ نظرِ الرَّبِّ جلَّ وعلا؟ قال ابن عبّاس: يعني بالذِّكر: القراءةَ في الصَّلاة يريد يقرأ سرًّا في نفسه في صلاةِ السِّرِّ[2]، وما يكونُ في النَّفس، يكونُ أقرب إلى الخشوعِ، وأدلَّ على الخشيةِ، وتمحيض النِّيَّة للّهِ تعالى دون سواهُ.

الذِّكرُ في النَّفس دليلٌ على أنَّ اللهَ قريبٌ من العبدِ، وأنَّهُ يسمعُ سرَّهُ ونجواه

**إيثارُ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿نَفۡسِكَ﴾ دونَ (قلبِكَ):**

في التَّعبيرِ بالنَّفسِ دونَ القلبِ، إشارةٌ إلى عملِ اللِّسانِ والأركانِ بعد ذكرِ الجَنان؛ فالنَّفْس مجموعُ الرّوحِ والجسدِ معًا، فالنَّفسُ: الدَّمُ، سالتْ نَفْسُه، دَفَقَ نَفْسه، أي: دمه[3]، كما أنَّ نفاسةَ الإنسانِ تحصلُ له بذكرِهِ لربِّه، والنّاس معادنُ، من حيثُ اختلافُ جواهرِها نفاسةً وخساسةً.

الإشارةُ إلى مشاركةِ الإنسانِ بكيانِهِ الدّاخليِّ الممثَّلِ بالنَّفسِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 442/15.
(2) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 452/3.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (نفس).

### فائدةُ إضافةِ النَّفسِ إلى ضميرِ المخاطبِ:

مَـنِ اتَّـصـلـتْ نـفـسُـهُ بـذكـرِ اللهِ؛ صفا قلبُهُ، ودنا من عفوِ ربِّه

قوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾، في إضافةِ النَّفس إلى ضميرِ المخاطبِ إيماءٌ إلى يُسرِ التَّكليفِ بالذِّكرِ في النَّفسِ، فهو في وُسعِهِ، وإذا أرادَ الإنسانُ أن يفعلَهُ فما عليه إلّا ترويضُ روضاتِ نفسِه بكثرةِ ذكرِ ربِّه، والنَّفس إذا ألفت الذِّكرَ؛ صار ديدنًا لها وطبيعةً وذوقًا، لا راحةَ لها إلّا به، ولا سعادةَ لها إلّا في أكنافِه، فيكون غذاءَها الرّوحيَّ الدّائمَ في كلِّ حالٍ، وفي كلِّ زمانٍ، وينعكسُ ذلك على الحواسِّ كلِّها، فيكونُ ذكرُ اللِّسان الدُّعاءَ، وذكرُ العينين البكاءَ، وذكرُ الأذنين الإصغاءَ، وذكرُ القلبِ الخوفَ والرَّجاءَ، وقد قال الشّاعرُ أبوبكر الشِّبليُّ:

ذَكَرْتُكَ لا أنّي نَسيتُكَ لَحْظَةً *** وأيْسَرُ ما في الذِّكرِ ذِكْرُ لِساني

### العدولُ عن التَّعبيرِ بـ(سرًّا) إلى قولِهِ: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾:

الـذِّكـرُ في النَّفسِ أقـرَبُ إلى الإخـلاصِ، وأبعدُ عن مراءاةِ النّاس

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ والمُرادُ بذِكرِ اللهِ في نَفْسِه، كَوْنُهُ عارِفًا بمَعاني الأذْكارِ الَّتي يَقولُها بلِسانِه، مُسْتَحْضِرًا لِصفاتِ الكَمالِ والعِزِّ والعُلوِّ والجَلالِ والعَظَمَةِ، وذلك لِأنَّ الذِّكْرَ باللِّسانِ إذا كانَ عاريًا عَنِ الذِّكْرِ بالقَلْبِ كانَ عَديمَ الفائِدَةِ[1]، ولَمّا كان الذِّكرُ سرًّا قد يوهِمُ اعتراءَ الغفلةِ؛ عدلَ عنهُ إلى قولِه: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾، والفائِدَةُ فيهِ: أنَّ انْتِفاعَ الإنْسانِ بالذِّكرِ إنَّما يَكْمُلُ إذا وقَعَ الذِّكْرُ بهذه الصِّفَةِ، لِأنَّهُ بهذا الشَّرْطِ أقْرَبُ إلى الإخْلاصِ والتَّضَرُّعِ.

### دلالةُ قولِهِ: ﴿تَضَرُّعًا﴾:

شـرطُ الـذِّكرِ أن يـكـونَ تخشُّعًا وتـضـرُّعًـا لله العليِّ الأعلى

أي: افعل ذلك تخشُّعًا للهِ وتواضعًا له[2]، والتَّضرُّعُ تفعُّلٌ من الضَّراعةِ، وهو الذُّلُّ، أي: تذلُّلًا وتملُّقًا[3]، وهو حالٌ من الضَّميرِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 442/15.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 353/13.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 110/2.

المستتر في ﴿وَٱذۡكُر﴾، أي: اذكره ذا تضرُّعٍ، أو بتأويل اسم الفاعل، أي: اذكره مُتَضَرِّعًا متذلِّلًا له وخائفًا منه سبحانه .

**إيثارُ صيغةِ التَّفعُّلِ دونَ الفَعالةِ في قوله: ﴿تَضَرُّعًا﴾:**

ويجيءُ مصدرُ تَفَعَّلْتُ على التَّفَعُّلِ، يقولون: تَقَوَّلْتُ تَقَوُّلًا[1]، والعدول عن الضَّراعة إلى التَّضرُّع؛ لما في التَّفعُّل من التَّرقّي في التَّذلُّل للهِ تعالى والتَّدرُّج من منزلةٍ إلى أخرى، هي أسمى منها، فقد قال ﷺ: يقولُ اللّه ﷻ: "من تواضع لي هكذا، وجعل يزيدُ باطنَ كفِّه إلى الأرض، وأدناها إلى الأرضِ، رفعتُه هكذا، وجعلَ باطنَ كفِّه إلى السَّماء ورفعها نحو السَّماءِ"[2].

التَّرقّي في التَّذلُّلِ للـه تعـالى، والتَّدرُّج مدارجَ السّـالـكـين، سبيلُ القـربِ منه

**نكتةُ عطفِ قولهِ: ﴿وَخِيفَةً﴾ على قوله: ﴿تَضَرُّعًا﴾:**

﴿وَخِيفَةً﴾: وخوفًا مِنَ اللّهِ أن يعاقبَكَ على تقصيرٍ يكون منك في الاتِّعاظ به والاعتبار[3]، وعطف قولَهُ: ﴿وَخِيفَةً﴾، على قوله: ﴿تَضَرُّعًا﴾، للدَّلالة على أنَّه كَنَّى بالتَّضَرُّعِ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ، مُرادًا به مَعْناهُ الأصْليُّ والكِنائيُّ، وذلك لأنَّ التَّذلُّلَ يَسْتَلْزِمُ الخِطابَ بالصَّوْتِ المُرْتَفِع في عادَةِ العَرَبِ[4].

الجمعُ بين رفعِ الصَّوت تضرُّعًا، وخفْضِ الصَّوتِ خشْيةً وتعظيمًا

**بلاغةُ الطِّباقِ بين: ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾:**

قوبِلَ التَّضَرُّعُ هُنا بالخيفَةِ، وهيَ اسْمُ مَصْدَرِ الخَوْفِ، فهو مِنَ المَصادِرِ الَّتي جاءَتْ على صيغةِ الهَيْئَةِ، ولَيْسَ المُرادُ بها الهَيْئَةَ، مِثْلَ الشِّدَّةِ، ولَمّا كانَتِ الخيفَةُ انْفِعالًا نَفْسيًّا يَجِدُهُ الإنْسانُ في خاصَّةِ نَفْسِه؛ كانَتْ مُسْتَلْزِمَةً لِلتَّخافُتِ بالكَلامِ خَشْيَةَ أنْ يَشْعُرَ بالمَرْءِ مَنْ يَخافُهُ، فلِذلك كُنِّيَ بها هُنا عَنِ الإسْرارِ بالقَوْلِ معَ الخَوْفِ مِنَ اللّه،

تـنـوُّعُ الـذِّكـرِ والعبادةِ تدفعُ السَّأم، وترفع الهِمَم

(1) سيبويه، الكتاب: 79/4.

(2) ذكره الهيثمي في مجمع الزّوائد: 82/8، ونسبه لأحمد والبزّار، وقال: "رجال أحمد والبزّار رجال الصّحيح".

(3) ابن جرير، جامع البيان: 353/13.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 241/9.

فمُقابَلَتُها بالتَّضَرُّعِ طِباقٌ في مَعْنَيَي اللَّفْظَيْنِ الصَّريحَيْنِ ومَعْنَيَيْهِما الكِناءَيْنِ، فكَأنَّهُ قيلَ تَضَرُّعًا وإعْلانًا وخيفَةً وإسْرارًا[1].

**فائدةُ قولِهِ: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾:**

الإشـــارةُ إلى التَّكلُّمِ بصوتٍ (دونَ الجهرِ)، فإنَّه أقـربُ إلى التَّفكُّر

قَوْلُه: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ المعنى: أنْ يَذْكُرَ رَبَّهُ على وجْهٍ يُسْمِعُ نَفْسَهُ، فإنَّ المُرادَ حُصولُ الذِّكْرِ اللِّسانيِّ، والذِّكْرُ اللِّسانيُّ إذا كانَ بحَيْثُ يُسْمِعُ نَفْسَهُ، فإنَّهُ يَتَأثَّرُ الخَيالُ مِن ذلك الذِّكْرِ، وتَأثُّرُ الخَيالِ يوجِبُ قوَّةً في الذِّكْرِ القَلْبيِّ الرّوحانيِّ، ولا يَزالُ يَتَقَوَّى كُلُّ واحِدٍ مِن هذه الأرْكانِ الثَّلاثَةِ، وتَنْعَكِسُ أنْوارُ هذه الأذْكارِ مِن بَعْضِها إلى بَعْضٍ، وتَصيرُ هذه الانْعِكاساتُ سَبَبًا لِمَزيدِ القوَّةِ والجَلاءِ والانْكِشافِ والتَّرَقّي مِن حَضيضِ ظُلُماتِ عالَمِ الأجْسامِ إلى أنْوارِ مُدَبِّرِ النّورِ والظَّلامِ[2] - أي: ومتكلِّمًا دونَ الجهرِ، فإنَّهُ أقربُ إلى حسنِ التَّفكُّرِ[3].

**العدولُ عن التَّعبيرِ بـ(الهمس) إلى قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾:**

الهمْسُ لا صوتَ فيهِ، والمرادُ هنا الصَّوتُ الضَّعيفُ

في قولِهِ: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ ثمَّةَ صوتٌ ضعيفٌ، وفي الهمسِ لا يوجد صوتٌ مسموعٌ، وذلك من حيثُ إنَّ الصَّوتَ يجري في الفم إذا كان موجودًا، وفي الهمسِ لا أصواتَ، كما قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: 108][4].

**فائدةُ قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾:**

تنويعُ الذِّكرِ يكونُ أنشطَ للنَّفسِ، وأدعى لعلوِّ الهمّةِ

وفائدة مفهوم قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ ليعمَّ القرآنَ وغيرَه من أنواعِ الذِّكرِ، وفي ذلك تخفيفٌ وتنشيط وحضٌّ على المداومةِ في الذِّكر، والانتقالُ من نوعٍ إلى آخرَ يدفع الملَلَ، ويناسبُ أحوالَ العبدِ، فقد يكونُ أنشطَ في ذكرٍ منه إلى آخرَ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 241/9.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 444/15.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 310/3.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (همس).

**بيانُ متعلَّق قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾، وفائدتُه:**

﴿مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ جارٌّ ومجرور متعلِّقٌ بحالٍ من الجهر - أي: دونَ الجهرِ كائنًا من القول[1]، وفائدته: تخيُّرُ أولى الأقوالِ من الذِّكر، وأكثرها ثوابًا، وأنسبُها حالًا، فالقول وإن كان أعمَّ الألفاظِ الدّالَّةِ على الكلام، ولكنَّهُ يُرادُ به القولُ الخاصُّ بالذِّكر.

الذِّكرُ المأثورُ آثرُ عندَ اللهِ، وأدقُّ دلالةً في التَّعبيرِ والبيان

**المرادُ بقولِهِ: ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾:**

أي: بالبُكَرِ والعشيّاتِ[2]، والآصال جائزٌ أن يكونَ جمع (أصيل) و(أصُل)؛ لأنَّهما قد يجمعان على أفعالٍ، وأمّا (الآصال)؛ فهي فيما يقالُ في كلامِ العربِ: ما بين العصرِ إلى المغربِ[3]، و"المراد بالغدوِّ والآصال، ليس هو قصرُ ذكرِ اللهِ في هذينِ الوقتين، وإنَّما المرادُ هو شغلُ القلبِ واللِّسانِ بذكرِ اللهِ، ذكرًا دائمًا متجدِّدًا، بحيثُ يُخْلي الإنسانُ نفسَهُ من الشَّواغلِ ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ليكونَ بينَهُ وبينَ اللهِ تلك اللقاءات المسعدة الَّتي يجدِّدُ فيها إيمانَهُ، ويقوّي بها صلتَهُ بخالقه"[4].

الـذِّكـرُ بـكـرةً وعـشـيًّا يـجـدِّدُ المـعـينَ، ويـربطُ الـذّاكِـرَ بـربِّ العالمين

**إيثارُ ذكرِ هذينِ الوقتينِ ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ دونَ غيرِهما:**

وخُصَّ هذان الوقتانِ بالذِّكر؛ لأنَّ الظِّلالَ إنَّما تعظمُ وتكثُر فيهما[5]؛ لأنَّهما طرفا النَّهارِ، ومن افتتح نهارَهُ بذكرِ الله واختتمَهُ به، كان جديرًا برعاية ربِّه، ولأنَّهما وقتُ سكونٍ ودعةٍ وتعبُّدٍ واجتهادٍ، وما بينهما من أوقاتٍ الغالبُ فيها الانقطاعُ لأمرِ المعاش[6].

الأوقـاتُ الـفـاضـلـةُ، فرصٌ لاستثمارِ الـحـسـنـاتِ الحاصلةِ

**بلاغةُ التَّرقّي في الذِّكْرِ:**

حيثُ ذكرَ قيودًا مرتَّبةً تدعو إلى التَّدبُّرِ؛ فبدأ بالإخلاصِ في

ذكرُ اللهِ بالقلبِ واللِّسانِ والأعضاءِ ولكلِّ أوقاتٌ وأحوالٌ

(1) صافي، الجدول: 164/5.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 354/13.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 354/13.
(4) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 554/5.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 127/13.
(6) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 463/5.

قوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾؛ لأنَّهُ أقربُ إلى الإجابة، وأبعدُ من الرّياء، ثمَّ ذكر ما ينبغي أن يكونَ عليه حالُ الذّاكر، وهو قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾، ثمَّ بيَّنَ أن يكونَ باللِّسان لا بالقلبِ وحدَهُ؛ وسطًا في درجةِ الصَّوتِ؛ حتَّى يكونَ أقربَ إلى التَّفكُّر، وهو قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾[1]، وفي الصَّحيحين عن أبي موسى الأشعريِّ، قال: رفع النّاسُ أصواتَهم بالدُّعاء في بعضِ الأسفار، فقال لهم النَّبيُّ ﷺ: «يا أيُّها النّاسُ: أربعوا على أنفسِكم - أي: هوِّنوا على أنفسِكم - فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّ الَّذي تدعونَهُ سميعٌ قريبٌ، أقربُ إلى أحدِكم من عنقِ راحلتِه»[2]، ثمَّ ذكرَ أخصَّ الأوقاتِ وأفضلها، وهو قوله: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾.

**دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾:**

عاطفةُ جملةِ النَّهي في قوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ على فعلِ الأمرِ بالذِّكر في قوله: ﴿وَٱذْكُر﴾؛ لما بين النَّهي عن الغفلةِ والأمرِ بالذِّكر من علاقةٍ وُثْقى؛ إذ إنَّ النَّهي عن الغفلةِ مطلوبةٌ للذّاكرِ، حتَّى يستمرَّ في ذكرِه، ويرْقى به، وللغافلِ حتَّى ينتبهَ، فيذكُر.

عاطفةُ النَّهي عن الغفلةِ على الأمرِ بالذِّكرِ؛ لأنَّهما متكاملانِ

**بلاغةُ وقوعِ النَّهي عن الغفلةِ بعد الأمرِ بالذِّكرِ:**

لقد نهى تعالى عن الغفلةِ عن ذكرِه بقوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ أي: من الَّذين يغفلون عن ذكرِ الله، ويلهونَ عنه، وفيه إشعارٌ بطلبِ دوامِ ذكره تعالى، واستحضارِ عظمتِه وجلاله وكبريائِه، بقدرِ الطّاقة البشريَّة[3].

الغفلةُ عن الذِّكرِ قسوةٌ في القلبِ، وفتورٌ في الهمَّةِ

**دلالةُ الخطابِ في قولِه: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾:**

خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ عامٌّ، أو المعنى: واذكر ربَّك أيُّها

خوطبَ النَّبيُّ ﷺ، فخوطبتْ فيه أمَّتُهُ

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 248/5.
(2) أخرجه البخاريّ، برقم: (1423)، ومسلم، برقم: (44 - 47).
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 248/5.

الإنسانُ، والأوَّل أظهرُ، لأنَّ ما خوطبَ بهِ النَّبيّ ﷺ ولم يكن من خصائصهِ، فإنَّهُ مشروعٌ لأُمَّتِه[1].

### فائدةُ دخولِ (لا) على (تكن):

المبالغةُ في النَّهْي عن الغفلةِ، من أساليبِ تربيَةِ النُّفوسِ

النَّهي عن الكونِ من الغافلين أبلغُ من النَّهي عن الغفلةِ، فقولُهُ: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ أشَدُّ في الانْتِفاءِ، وفي النَّهْيِ مِن نَحْوِ: ولا تَغْفُلْ؛ لأنَّهُ يَفْرِضُ جَماعَةً يَحِقُّ عليهم وصْفُ الغافِلينَ، فيُحَذَّرُ من أنْ يَكونَ في زُمْرَتِهم وذلك أبْيَنُ لِلْحالَةِ المَنْهي عَنْها[2]، وهذا أبلغُ من (ولا تكن غافلًا)؛ لأنَّ معناهُ النَّهي عن وجودِهِ من جملتِهم وإن لم يكن غافلًا.

### إيثارُ لفظِ ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ في الآية:

يقظةُ القلبِ حَياةٌ، لا تُدْرِكُها العِباراتُ، ولا تنالُها التَّوَهُّماتُ

وإيثارُ لفظِ ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾؛ لأنَّ الذّاكر إنْ كانَ في الذّاكِرينَ؛ لَم يُكْتَبْ مِنَ الغافِلينَ، وإنْ كانَ في الغافِلينَ كُتِبَ في الذّاكِرينَ؛ لأنَّهُ يَذْكُرُ حينَ لا يَذْكُرونَ، ولا يَغْفُلُ حينَ يَذْكُرونَ، زَهادَتُهُ فيما يَنْفَدُ، ورَغْبَتُهُ فيما يَخْلُدُ، فيَصْمُتُ ليَسْلَمَ، ويَخْلو ليَغْنَمَ، ويَنْطِقُ ليُفْهِمَ، ويُخالِطُ ليَعْلَمَ، ولا يَنْصِبُ لِلْخَيْرِ وهو يَسْهو، ولا يَسْتَمِعُ لَهُ، وهو يَلْغو، مَجالِسُ الذِّكْرِ معَ الفُقَراءِ أحَبُّ إليه مِن مَجالِس اللَّغْوِ معَ الأغْنياءِ[3].

### بلاغةُ الطِّباقِ بينَ (الذِّكر والغفلة):

فنُّ الطِّباقِ من المحسِّناتِ البديعيَّةِ المرصَّعةِ للجملةِ

يُظهر لفظُ ﴿ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ الواقعُ في حيِّز النَّهي في ختامِ الآيةِ دلالةَ لفظِ (الذِّكْر) المأمورِ به في صدرها، وهو ضدُّ الغفلةِ. كما أنَّ فيهِ ضَرْبًا مِن رَدِّ العَجُزِ على الصَّدْرِ، من حيثُ المعنى؛ إذِ افْتُتِحَتِ الآيةُ بالأمرِ بالذِّكْر، وخُتِمَتْ بالنَّهي عن الغفلة.

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 248/5.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 242/9.
(3) ابن المبارك، الزّهد والرّقائق، ص: 333.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### النَّفسُ والرّوحُ:

لـفـظُ الـنَّـفـسِ مـشـتـركٌ، بـين الـرّوحِ والـذّاتِ، والـرّوح من أمرِ اللهِ

معلومٌ من نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ أنَّ النَّفسَ تموت، والرّوح لا تموت، وأنَّها من أمر الله. ولفظُ النَّفسِ مشتركٌ، يقع على الرّوحِ وعلى الذّاتِ، ويكون توكيدًا، يقال: خرجتْ نفسُه، أي: روحه، وجاءني زيدٌ نفسُه، بمعنى التَّوكيد، والنَّفس الَّتي تستعدُّ بمعنى الذّات ما يصحُّ أن تدلَّ على الشَّيء من وجهٍ يختصُّ به دونَ غيرهِ، وإذا قلت: هو لنفسهِ على صفةِ كذا، فقد دللتُ عليهِ من وجهٍ، يختصُّ به دون ما يخالفُهُ، ويعبَّر بالنَّفس عن المعلوم في قولهم: قد صحَّ ذلك في نفسي، أي: قد صار في جملةِ ما أعلمَهُ، ولا يقال: صحَّ في ذاتي[1]، وقد تطلقُ الرّوحُ على الهواءِ الخارجِ من البدن والدّاخلِ فيه، والبخارِ الخارجِ من القلبِ، كما قال ابن تيميَّة[2]، وقال ابن القيِّم: "مذهبُ جمهورِ العلماءِ: أنَّ النَّفسَ والرّوحَ مسمّاهما واحدٌ، وأنَّ الفرق بين النَّفس والرّوح فرقٌ بالصِّفات لا بالذّات، وأنَّ الرّوحَ جسم نورانيٌّ خفيف، يسري في الأعضاء سريانَ الماءِ في العود، والدُّهنِ في الزَّيتونِ، فإذا فارقها وانفصلَ عنها إلى عالمِ الأرواح؛ فسدت تلك الأعضاءُ"[3].

### الغدوُّ والإصباحُ:

الغـدوُّ: النِّـصفُ الأوَّلُ من النَّهارِ، والإصـبـاحُ: أوَّل مـا يـبـدو مـن الـنَّـهارِ بعدَ الفجرِ

الذَّهابُ غدوةً (أوَّلُ النَّهارِ) ثمَّ كثرَ حتَّى استعملَ في الذَّهابِ والانطلاقِ أيَّ وقتٍ كان[4]، والإصباحُ يَعْني: (إضاءَةَ الفَجْرِ)[5]، وهو مصدرُ أصبحْنا إصباحًا، والإصباحُ صُبْحُ كلِّ يومٍ بمجموعٍ[6].

(1) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة، ص: 519.
(2) ابن تيميّة، الفتاوى: 282/9.
(3) للاستزادة: ابن قيّم الجوزيّة، في كتابه الرّوح.
(4) الفيروزآباديّ، تاج العروس: (غدو).
(5) مجاهد، تفسير مجاهد: 326.
(6) الفرّاء، معاني القرآن: 346/1.

## الأصيلُ واللَّيلُ:

الأصيلُ: الوقتُ ما بينَ العصرِ إلى اللَّيلِ، واللَّيلُ: امتدادُ الظَّلامِ إلى الفجرِ

المُراعى في تسميةِ الأصيلِ الوقتُ الممتدُّ من العصرِ إلى العشاءِ الأولى، والمُراعى في تسميةِ اللَّيلِ هو طبيعةُ الظَّلامِ، فالأصيلُ: الوقتُ ما بينَ العصرِ إلى اللَّيلِ[1]، والمعنى المحوريُّ: امتدادٌ في العمقِ يقومُ عليه الشَّيءُ، ويمتدُّ منه إلى الأعلى، كقاعدتي الجبلِ والحائط لهما، وجذرِ الشَّجرة لها، وتلك الأصلةُ لها قائمةٌ تقوم عليها، والأصيل: العَشيُّ من العصر إلى المغرب "باعتبار أنَّهُ أوَّل دخول زمن اللَّيلِ، واللَّيلُ: يعبَّرُ به عَنِ الظَّلامِ، ليلةٌ لَيْلاءُ وليلٌ أَلْيَلُ: شديدُ الظُّلمةِ"[2]، والمعنى المحوريُّ للَّيل: أنَّه حجابٌ لطيفٌ (غير مجسَّم) لكنَّه كثيفٌ يلُفُّ الأشياءَ متميِّزًا عنها عالقًا في الأفق، أي: إنَّ طبيعةَ الظَّلامِ مع عمومِه هو الملحظُ في تسميةِ اللَّيلِ بدليلِ مقابلته بالضّياء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ [القصص: 71]. وكما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ [النّبأ: 10][3].

(1) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 351، وابن جرير، جامع البيان: 405/16.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ليل).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (أصل) و(ليل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»